معلقة امرئ القيس(*)

قِفا نبك من ذكري حبيبٍ ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحَوْمل(١)

١- قيل : خاطب صاحبيه، وقيل :بل خاطب واحدا وأخرج الكلام مخرج الخطاب مع الاثنين ؛ لأن العرب من عادتهم إجراء خطاب الاثنين على الواحد والجمع، فمن ذلك قول الشاعر :

فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر وإن ترعياني أحم عرضا ممنعا

خاطب الواحد خطاب الاثنين ، وإنما فعلت العرب ذلك لأن الرجل يكون أدنى أعوانه اثنين : راعى إبله وراعى غنمه ، وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة ، فجرى خطاب الاثنين على الواحد لمرور ألسنتهم عليه ، ويجوز أن يكون المراد به : قف قف ، فإلحاق الألف أمارة دالة على أن المراد تكرير اللفظ كما قال أبو عثمان المازنى فى قوله تعالى : ﴿قال رب ارجعون﴾ المراد منه : أرجعنى أرجعنى أرجعنى ، جعلت الواو علما مشعرا بأن المعنى تكرير اللفظ مرارا ، وقيل : أراد قفن على جهة التأكيد فقلب النون ألفا فى حال الوصل ، لأن هذه النون تقلب ألفا فى حال الوقف ، فحمل الوصل على الوقف، ألا ترى أنك لو وقفت على قوله تعالى : ﴿ لنسفعن ﴾ قلت : لنسفعا ؟ ومنه قول الأعشى :

وصل على حين العشيات والضحى ولا تحمد المثرين والله فاحمدا (١)

أراد فاحمدن فقلب نون التأكيد ألفا ، يقال : بكى يبكى بكاء وبكى ممدودا مقصورا ، أنشد ابن الأنبارى لحسان بن ثابت شاهدا له :

بكت عينى وحق لها بُكاها وما يغنى البكاء ولا العويلُ (٢)

(*) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى ، كان أبوه ملك بنى أسد ، وهو من أهل نجد، وكان يقال له آكل المُرار، وقد تعددت أقوال أصحاب التراجم فى توجيه ذلك ، ولا أرى لتسجيلها هنا معنى. يراجع طبقات ابن سلام ١/ ٥٢ ، ٨١-٩٦، وشرح القصائد السبع الطوال ٣-١٥ ، ومعاهد التنصيص ٩/١ وما بعدها، والشعر والشعراء ١ / ١٠٥ .

(١) انظر القصائد السبع الطوال صـ ١٧ .

(٢) نسبه أبو زيد والنحاس إلى كعب بن مالك ضمن أبيات . اللسان مادة بكا .

فتُوضِحَ فالمقراةِ لم يعفُ رسمُها لما نسجَتْها من جنوب وشمأل(١)

ترى بعرَ الآرام فى عَرَصاتها وقيعانها كأنهُ حَبُّ فُلْفُل(٢)

فجمع بين اللغتين ؛ السقط منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه، والسقط أيضا ما يتطاير من النار ، والسقط أيضا المولود لغير تمام ، وفيه ثلاث لغات: سَقط وسِقط وسُقط فى هذه المعانى الثلاثة . اللوى : رمل يعوج ويلتوى . الدخول وحومل : موضعان(١) ، يقول : قفا وأسعدانى وأعينانى أو قف وأسعدنى على البكاء عند تذكرى حبيبا فارقته ومنزلا خرجت منه وذلك المنزل أو ذلك الحبيب أو ذلك البكاء بمنقطع الرمل المعوج بين هذين الموضعين .

١ ـ توضح والمقراة موضعان وسقط اللوى بين هذه المواضيع الأربعة . قوله : لم يعف رسمها ، أى لم ينمح أثرها . الرسم : ما لصق بالأرض من آثار الدار مثل البعر والرماد وغيرها ، والجمع أرسم ورسوم . قوله : وشمأل ، فيها ست لغات : شمال وشمأل وشامل وشمول وشمل وشمل . نسج الريحين: اختلافهما عليها وستر إحداهما إياها بالتراب وكشف الأخرى التراب عنها . يقول : لم ينمح ولم يذهب أثرها ، لأنه إذا غطتها إحدى الريحين بالتراب كشفت الأخرى التراب عنها ، وقيل : بل معناه لم يقتصر سبب محوها على نسج الريحين بل كان له أسباب منها هذا السبب ومر السنين وترادف الأمطار وغيرهما ، وقيل :بل معناه لم يعف رسم حبها من قلبى وإن نسجتها الريحان ؛ والمعنيان الأولان أظهر من الثالث ، وقد ذكرها كلها أبو بكر ابن الأنبارى (٢) .

٢ـ الآرام : الظباء البيض الخالصة البياض ، وأحدها ريم ، بالكسر ، وهى تسكن الرمل. عرصات ، فى المصباح: عرصة الدار ساحتها ، وهى البقعة الواسعة التى ليس فيها بناء ، والجمع عراص مثل كلبة وكلاب ، وعرصات مثل سجدة وسجدات ، وعن الثعالبى: كل بقعة ليس فيها بناء فهى عرصة ، وفى التهذيب : وسميت ساحة الدار عرصة لأن الصبيان يعرصون فيها أى يلعبون ويمرحون . قيعان جمع قاع، وهو المستوى من

(١) وقال الفراء : بين الدخول فحومل أى بين أهل الدخول وأهل حومل .

(٢) شرح القصائد السبع الطوال صـ ٢٠ - ٢١ .